الإفخارستيا سر الوحدة
سر الجماعة المجتمعة

❁ ❁ ❁

إن الكنيسة التي أسَّسها الرب يسوع المسيح يوم خميس العهد في العشاء السري الأخير تحقَّقت واستُعلنت في يوم الخمسين أي العنصرة، وأيضًا عندما اجتمع الرسل معًا ἐπὶ τὸ αὐτό (أي حول نفس الشيء وبفكرٍ واحدٍ) وأقاموا أول إفخارستيا. هذه الجماعة الصغيرة قد صارت هي شعب الله الذي أقامه الرب لنفسه في العهد الجديد، وقد جمعهُ في "جسده الواحد". هذه هي الكنيسة التي صارت تُستعلن بوضوح في سر[١] الشكر (الإفخارستيا) أو كما لُقِّب في القرن الرابع وما بعده "سر الاجتماع" μυστήριον συνάξεως أي سر الجماعة الملتئمة[٢].

لذا فسِرُّ الإفخارستيا أو "سرَّ الجماعة" يأخذ موقعًا محوريًّا في الكنيسة، بل هو المركز الذي يتوق إليه الكل بل يتحد به الكل بعضهم ببعض وبالرأس (المسيح). إن موضوع سر الإفخارستيا واسع جدًّا، ولكننا في هذا البحث سنُحدَّ أنفسنا بتساؤل واحد ألا وهو: هل الممارسة والاشتراك في سر الإفخارستيا هو عمل فردي يتعلق بالعلاقة الفردية بين المؤمن

---

(١) كلمة μυστήριον اليونانية تُعبِّر عن المعنى الدقيق المقصود من كلمة "سر" وهي تعني "الشيء المخفي أو المستور" أي الذي لا يمكن للإنسان أن يدركه من ذاته وحده. فعندما يستأمن الله قديسيه ليُعرِّفَهم ويُعلنَ لهم أسراره، يظل هذا الإعلان إعلانًا قلبيًّا داخليًّا يحسُّه القلب، وبالكاد يستوعبه العقل استيعابًا جزئيًّا غير كلي. انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، معجم المصطلحات الكنسية، القاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٢١، ص٣١٥. وأيضًا: الأب متى المسكين، الإفخارستيا عشاء الرب ، الطبعة الثانية ٢٠٠٠، ص ٣٥.

(٢) كلمة σύναξις (الاجتماع) كانت هي التسمية المفضَّلة للقداس لدى القديس أثناسيوس، فمثلًا يقول [كنَّا مجتمعين في السهر الليلي استعدادًا لإقامة σύναξις (أي قداسًا) في الصباح] (يكرر هذه القصة بنفس التعبيرات في ثلاثة من كتبه: الدفاع إلى قسطنطيوس ٢٥، الدفاع عن هروبه ٢٤، تاريخ الأريوسيين ٨١). والعصور التالية أخذت من القديس أثناسيوس هذه التسمية وأضافت لها كلمة "سر" فصارت "**سر الاجتماع**" μυστήριον συνάξεως كما نجدها مثلًا في نهاية القرن الخامس في الكتابات المنسوبة إلى ديونيسيوس (الرتب الكنسية ٣: ٢). ويلاحظ أن الكنيسة القبطية محتفظة حتى الآن بهذه التسمية الموروثة من القديس أثناسيوس، فنجد في كتب القطمارس عنوان **Ⲥⲩⲛⲁⲝⲓⲥ** يتصدَّر قراءات القداس تميزًا لها عن بقية القراءات.

والرب فقط، أم هي علاقة جماعية بين أعضاء الجسد والرأس (المسيح) وبين بعضهم البعض؟ البحث سوف يسرد بعض الأدلة الكتابية ثم أقوال الآباء التي تساعد على الإجابة على هذا التساؤل، وأخيرًا أمثلة من صلوات القداس تبيِّن كيف نعيش هذه الحقيقة عمليًّا:

في العهد القديم

من أوضح الصور النبوية في العهد القديم لسر الإفخارستيا هو طقس الاجتماع لأكل خروف الفصح المذكور في سفر الخروج ١٢:

❖ «هِيَ لَيْلَةٌ تُحْفَظُ لِلرَّبِّ لإِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. هذِهِ اللَّيْلَةُ هِيَ لِلرَّبِّ. تُحْفَظُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَجْيَالِهِمْ ... **فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ يُؤْكَلُ**» (خر ١٢: ٤٢ – ٤٦).

والمقصود هنا من كلمة "بيت" هو بيت يضمُّ عائلةً كبيرة مكوَّنة من الأب والأم والأولاد وزوجاتهم مع أطفالهم فالمقصود ليس أسرة صغيرة بل عائلة كبيرة متفرعة، وحتى الآن يحتفل الشعب اليهودي هكذا بنفس الأسلوب عندما يجتمعون معًا ليُقيموا الفصح (اليهودي) يوم ١٤ نيسان.

❖ «وَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَكُونَ كُفْوًا لِشَاةٍ، يَأْخُذُ هُوَ وَجَارُهُ الْقَرِيبُ مِنْ بَيْتِهِ بِحَسَبِ عَدَدِ النُّفُوسِ» (خر ١٢: ٤).

لقد كان الرب منذ القديم حريصًا على أن يوصي بالاجتماع معًا لإقامة هذا الطقس، ولولا أنهم كانوا في أرض العبودية لطلب منهم أن يُقيموا هذا الطقس بطريقة جماعية للشعب كله. فأعضاء البيت الواحد يلتفُّون كلهم معًا أو مع جيرانهم حول الخروف المذبوح لكي يُتمِّموا الطقس معًا. وليست مصادفةً أبدًا أن يختار الرب في العهد الجديد لتأسيس سر الجماعة (الإفخارستيا) نفس يوم إتمام الفصح، فقد قال الرب قبل تأسيس السر «شهوةً اشتهيتُ أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألَّم» (لو ٢٢: ١٥)، ثم أسَّس سر الإفخارستيا لكي يؤكد على الاتصال الوثيق بين الرمز (أكل خروف الفصح) وبين المرموز إليه (المسيح نفسه وأكل جسده في الإفخارستيا). فلمَّا جَمَع الرب يسوع التلاميذ الذين هم من بيوت مختلفة وأسباط مختلفة لكي يشتركوا معًا في إفخارستيا الرب الواحدة، كان هذا إشارة واضحة لبدء زمن انجماع كل شيء، بحسب إرادة الرب التي عبَّر

عنها قائلًا «كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا» (مت ٢٣: ٣٧) بل والتي كان يحفظها في ذاته من قبل تأسيس العالم «إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، **لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ**، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ» (أف ١: ١٠).

صورة أخرى للاجتماع معًا في العهد القديم لغرض تعبدي، نجدها في جمع الشعب كله لغرض العبادة سواء كان للتوبة الجماعية في أزمنة المصاعب كما في سفر يوئيل: «اِجْمَعُوا الشَّعْبَ. قَدِّسُوا الْجَمَاعَةَ. احْشُدُوا الشُّيُوخَ. اجْمَعُوا الأَطْفَالَ وَرَاضِعِي الثُّدِيِّ» (يؤ ٢: ١٦)، أو بصفة دورية للعبادة السنوية حيث يتكرر اصطلاح «محفل مقدس» κλητὴ ἁγία[٣]. وبصفة عامة يمكن أن يُقال إن العبادة والتسبيح في العهد القديم كانت تتسم بالصفة الشعبيَّة الجماعيَّة، ويتأكد ذلك من كثرة استعمال الفعل λειτουργέω (ليتورجيو) في مجال العبادة، الذي في أصل تكوينه يعني عملًا شعبيًّا[٤]. فقد ذُكر ٩٨ مرة بالعهد القديم مقابل ثلاث مرات بالعهد الجديد.

إنجيل يوحنا

يذكر لنا القديس يوحنا تعليقه الخاص على تآمر رئيس الكهنة لقتل الرب يسوع فيقول: «وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ **لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ**» (يو ١١: ٥٢). فإن كانت الإفخارستيا ذكرى عينية أي استحضارًا فعليًّا لذبيحة الرب على الصليب، فهي تحمل في صميم كيانها نفس غاية ذبيحة الصليب، أي «**أن يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد**»...

ثم أخيرًا يذكر لنا القديس يوحنا الصلاة التي صلاها الرب يسوع في يوحنا ١٧ بعد أن أسَّس الإفخارستيا ووزَّع جسدَه على تلاميذه: «**أَنَا فِيهِمْ** وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ» (يو ١٧: ٢٣)، وقد قال الرب «أَنَا فِيهِمْ» على أساس أنه وزَّع جسده عليهم وأن «مَنْ يَأْكُلْ

---

(٣) عبارة "محفل مقدَّس" κλητὴ ἁγία مذكورة في خر ١٢: ١٦ ولا ٢٣: ٣ و٧ و٨ و٢٤ و٢٧ و٣٥ و٣٦.

(٤) كلمة "ليتورجيا" تتكون من مقطعين هما (ليؤس) أي شعب و(إرغون) أي عمل، فيكون معنى الكلمة "عمل شعبي". انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، معجم المصطلحات الكنسية، القاهرة، الطبعة الرابعة ٢٠٢١، ص٤٩٠.

جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يوحنا ٦: ٥٦). فصلاة المسيح الكهنوتية في إنجيل ق. يوحنا أصحاح ١٧ لا نقدر أن نفهمها بدون أن نعتبر أنه قالها تعليقًا على تأسيس الإفخارستيا التي تجعلنا «نثبت فيه وهو فينا». والجزء الثاني من الآية يُكمّل المعنى ويؤكده **«ليكونوا مُكَمَّلين إلي واحد»**. هذه هي غاية المسيح، التي تتم كل مرة نشترك معًا في سر الإفخارستيا.

سفر أعمال الرسل

يذكر لنا سفر أعمال الرسل كيف مارست كنيسة أورشليم الأولى – التي هي المثال الذي يجب أن نحتذي بهِ – وكيف اختبر المؤمنون فيها هذه الشركة بعضهم مع بعض.

- ❖ «وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ (معًا ἐπὶ τὸ αὐτό) إِلَي الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» (أعمال ١: ٤٧).
- ❖ «وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا ἐπὶ τὸ αὐτό بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» (أعمال ٢: ١).
- ❖ «وَكَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ ... وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعًا ἐπὶ τὸ αὐτό» (٢: ٤٢ – ٤٤).

تجتمع هذه الآيات الثلاثة في ذكر المصطلح ἐπὶ τὸ αὐτό (إبي تو أفتو) الذي تُرجم "معًا" ولكنه يعني حرفيًّا "مُلتفين معًا حول نفس الشيء أو حول نفس الفكر الواحد"، وقد جاء في الآيات المذكورة في سياق الحديث عن حلول الروح القدس وعن المواظبة معًا على كسر الخبز (الإفخارستيا) والصلوات... وسوف نرى أن هذا المصطلح سوف يستخدم من قِبل الآباء الرسوليين في إطار إفخارستي.

- ❖ «وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ إِذْ كَانَ التَّلاَمِيذُ **مُجْتَمِعِينَ لِيَكْسِرُوا خُبْزًا**[٥]**»** (أع ٢٠: ٧).

نرى في هذه الآية حقيقتين: الأولى هي ضرورة "الاجتماع" لكسر الخبز، والثانية هي التأكيد أن هذا الاجتماع كان يتم في ميعاد محدَّد وهو "أول الأسبوع" أي يوم الأحد.

---

(٥) "كسر الخبز" هو أقدم مصطلح في العهد الجديد عن الإفخارستيا، وهو مأخوذ من قول الرب «خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي **الْمَكْسُورُ** لأَجْلِكُمْ» (١كو ١١: ٢٤).

قبل أن نتطرق لفكر القديس بولس في هذا السر نريد التأكيد على أن ق. بولس قد أعلن مرارًا أنهُ أخذ تعليمه من الرب رأسًا: «وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ، لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل ١: ١١ – ١٢). يؤكد هذا خصوصًا قبل أن يتكلَّم عن سر الإفخارستيا: «تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا» (١كو ١١: ٢٣). فبولس الرسول لم يكن – كما يدَّعي البعض – مُخترعًا لتعاليم مسيحية، بل هو ينقل لنا ما قد تعلَّمه من الرب رأسًا، عِلمًا بأنهُ لم يحضر العشاء الأخير، ولكنهُ مع ذلك يشرح تفاصيل العشاء وكأنهُ كان وسط الاثني عشر، وتفسير ذلك أنه رأى الرب وتكلَّم معه كثيرًا عندما كان في خلوته الطويلة التي امتدت لثلاث سنوات بالعربية (جبل سيناء) (غل ١: ١٥ – ١٨).

❖ «فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا **جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ** فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠: ١٧).

القديس بولس هنا يتكلم عن "الخُبْز الوَاحِد" الذي هو الإفخارستيا وعن "الْكَثِيرِينَ" الذين هم الشعب المسيحي المُجتمع معًا لكي يشتركوا في الإفخارستيا الواحدة فيصيروا بها «جسدًا واحدًا». وفي الحقيقة هذه هي أول مرة يذكر بولس الرسول في رسائله عقيدة الجسد الواحد، ومن المهم أن نلاحظ أنه يستنبطها مباشرةً مما يتم في الإفخارستيا. وفي بقية الرسالة يشرح حقيقة هذا الجسد الواحد بتفصيل أكثر مع وصف دور الأعضاء فيه «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ، وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَادًا» (١كو ١٢: ٢٧). ويعود إلى ذلك في رسائله الأخرى: «جَسَد وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضًا فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمُ الْوَاحِدِ» (أف ٤: ٤)، ولكن الذي يهمُّنا أن نلاحظه أنَّ أول مرة ذكرها استنبطها مما يتم في الإفخارستيا.

ومن جهة أخرى، يتبلور فكر ق. بولس وتعليمه اللاهوتي في عبارة "في المسيح" التي تتكرر كثيرًا في رسائله، وهي نتيجة طبيعية عنده لاتحادنا في الرب في الخبزة الواحدة.

نقطة أخرى نريد ملاحظتها في الآية أعلاه (١كو ١٠: ١٧) هي كلمة "**جَمِيعَنَا**"، وبها يؤكد ق. بولس على ضرورة اشتراك **الجميع** في الخبز الواحد. ولم يكن في ذلك مبتكرًا،

فمعروف أن الرب نفسه أكَّد على ذلك عند تأسيس السر: «وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: اشْرَبُوا مِنْهَا **كُلُّكُمْ**» (مت ٢٦: ٢٧).

❖ «لأَنِّي أَوَّلًا **حِينَ تَجْتَمِعُونَ فِي الْكَنِيسَةِ**، أَسْمَعُ أَنَّ بَيْنَكُمُ انْشِقَاقَاتٍ، وَأُصَدِّقُ بَعْضَ التَّصْدِيقِ ... **فَحِينَ تَجْتَمِعُونَ مَعًا** (ἐπὶ τὸ αὐτό) لَيْسَ هُوَ لأَكْلِ عَشَاءِ الرَّبِّ. لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَسْبِقُ فَيَأْخُذُ عَشَاءَ نَفْسِهِ فِي الأَكْلِ، فَالْوَاحِدُ يَجُوعُ وَالآخَرُ يَسْكَرُ. أَفَلَيْسَ لَكُمْ بُيُوتٌ لِتَأْكُلُوا فِيهَا وَتَشْرَبُوا؟ أَمْ تَسْتَهِينُونَ بِكَنِيسَةِ اللهِ وَتُخْجِلُونَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ؟ مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ؟ أَأَمْدَحُكُمْ عَلَى هذَا؟ لَسْتُ أَمْدَحُكُمْ! **لأَنِّي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا**: إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: "خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمُ. اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي". كَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلًا: "هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي". فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ» (١كو ١١: ١٩ – ٢٥).

يتضح لنا من هذا النص التركيز على أن إقامة سر الإفخارستيا كان قائمًا على الاجتماع معًا، فهو مع وجود تجاوز من بعض الحاضرين ولكن ق. بولس يحث المؤمنين على أن يُمارسوا الاجتماع الإفخارستي في الكنيسة بصورة صحيحة. لاحظ عبارة «تَجْتَمِعُونَ مَعًا ἐπὶ τὸ αὐτό».

❖ «فَإِن **اجْتَمَعَتِ** الْكَنِيسَةُ كُلُّهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ...» (١كو ١٤: ٢٣)،

❖ «فَمَا هُوَ إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ؟ **مَتَى اجْتَمَعْتُمْ** فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَهُ مَزْمُورٌ، لَهُ تَعْلِيمٌ، لَهُ لِسَانٌ، لَهُ إِعْلاَنٌ، لَهُ تَرْجَمَةٌ. فَلْيَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ لِلْبُنْيَانِ» (١كو ١٤: ٢٦).

مرة أخرى يؤكد القديس بولس على اجتماع الكنيسة كلها معًا في مكان واحد.

في أقدم النصوص الليتورجية:

الديداخي[٦]، المراسيم الرسولية، قداس القديس سيرابيون، قداس بردية دير البلايزا.

---

(٦) كلمة ديداخي تعني "تعليم" وهي أول كلمة في عنوان هذا الكتاب "تعليم الرب للأمم بواسطة الاثني عشر رسولًا". والديداخي تُعد أول وأقدم تنظيم كنسي وصل إلينا. وهي تحتل أهمية ومكانًا متوسطًا بين أسفار العهد الجديد، وكتابات

تذكر لنا النصوص الإفخارستية الأولى أهمية الاجتماع معًا في يوم الرب، فنرى في كتاب الديداخي:

❖ في كل يوم خاص بالرب (Καθ᾽ ἡμέραν δὲ κυρίου)[٧]، **اجتمعوا معًا** (συναχθέντες)[٨] واكسروا الخبز واشكروا (εὐχαριστήσατε)[٩] **بعد أن تكونوا اعترفتم أولًا بخطاياكم** حتى تكون ذبيحتكم طاهرة[١٠].

يؤكد كاتب الديداخي على أهمية الاجتماع معًا وخصوصًا في يوم الرب لإقامة سر الإفخارستيا.

أما عن أهم طلبة في هذا الاجتماع فهي تتضح في النص التالي:

❖ كما أن هذا المكسور[١١] كان مبعثرًا على الجبال، وصار واحدًا عندما **اجتمعت** أجزاؤه، هكذا فلتكن كنيستك **مجموعة** من أقاصي الأرض للدخول إلى ملكوتك[١٢].

نلاحظ في هذه الصلاة ورود فعل "يجمع" (συνάγω) مرتَين: الأولى بخصوص حبات القمح التي "اجتمعت" لتُكوِّن الخبز الواحد ومرة أخرى بخصوص الكنيسة التي صارت "مجموعة" إلى واحد بفعل هذا السر. ونفس هذا الاستعمال المزدوج للفعل "يجمع" (συνάγω) سنراه في صلوات الإفخارستيا المذكورة في كل من المراسيم الرسولية والدسقولية العربية وقداس القديس سيرابيون وقداس بردية دير البلايزا. وهذا دليل على أن الإفخارستيا كانت بالأساس في ضمير الكنيسة الأولى هي سر الانجماع إلى واحد، ذلك

الآباء الرسوليين. وعمرها قد يرجع للنصف الثاني من القرن الأول أو آخره. انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، معجم المصطلحات الكنسية، الطبعة الرابعة ٢٠٢١، ص ٢٥٢.

(٧) وهو اصطلاح يدل على يوم الأحد، بدأ باستعماله ق. يوحنا كصفة κυριακῇ في سفر الرؤيا (رؤ ١: ١٠) واستمر بعد ذلك في التقليد الكنسي كما سنرى في أقوال القديس يوستينوس الشهيد.

(٨) هو نفس الفعل συνάγω المستخدم في يوحنا ١١: ٥٢ «ليجمع (συναγάγῃ) أبناء الله المتفرقين إلى واحد».

(٩) وفعل الشكر هذا قد صار اسمًا للإفخارستيا فيما بعد.

(١٠) الديداخي ١٤:١.

(١١) أي خبز الإفخارستيا المكسور، وهذا التعبير مستوحى من أقدم اصطلاح إفخارستي في العهد الجديد أي «كسر الخبز» (أع ٢: ٤٢ و٢٠: ٧ ولو ٢٤: ٣٥).

(١٢) الديداخي ٩:٤.

لأنها ذكرى فعلية أو استحضار لذبيحة المسيح التي قدَّمها «**ليجمع** συναγάγῃ **أبناء الله المتفرقين إلى واحد**» (يو ١١: ٢٥).

النص من المراسيم الرسولية[١٣]:

❖ أنت أيها السيد ضابط الكل، الله الأبدي، كما كان هذا مبعثرًا ثم **اجتمع** فصار خبزًا واحدًا، هكذا **اجمع** كنيستك من أقاصي الأرض إلى ملكوتك.

النص من قداس سيرابيون[١٤]:

❖ وكما كان هذا الخبز مبعثرًا فوق الجبال، ثم صار **مجتمعًا** إلى واحدٍ، هكذا **اجمع** كنيستك المقدسة من كل الأمم ومن كل البقاع ومن كل مدينة وقرية وبيت، واجعلها كنيسةً واحدةً حيةً جامعةً.

أما نص قداس بردية دير البلايزا[١٥]:

❖ وكما كان هذا الخبز مبعثرًا فوق الجبال والتلال والحقول، ولما **اجتمع** معًا صار جسدًا واحدًا...، وبالمثل أيضًا هذا الخمر الذي خرج من كرمة داود المقدسة، وهذا الماء الذي خرج من الحمل الذي بلا عيب، امتزجا معًا صائرَين سرًّا واحدًا، هكذا أيضًا **اجمع** كنيستك الجامعة.

إن التطابق المُذهل في هذه الطلبة بالذات في هذه النصوص المختلفة لهو شيء يسترعي الانتباه والتأمل، فمع وجود فارق زمني بين كل من نص الديداخي (آخر القرن الأول تقريبًا)، والمراسيم الرسولية (٣٥٠م)، وقداس سيرابيون (٣٣٠ – ٣٦٠م)، وبردية قداس دير البلايزا (القرن السادس)، فهذه النصوص الأربعة تشترك في تمثيل الكنيسة بحبات القمح التي اجتمعت معًا لتُكوِّن خبزة واحدةً، فهي على مثال ذلك تطلب من المسيح أن يجمع كنيسته الواحدة[١٦].

---

(١٣) المراسيم الرسولية الكتاب السابع:٢٥، انظر: أنبا إبيفانيوس، قداس القديس مرقس (القداس الكيرلسي)، دار مجلة مرقس، طبعة ٢٠١٥، ص ٥٢. ويقابلها في الدسقولية العربية الباب ٣٦: ٢٨.

(١٤) انظر: أنبا إبيفانيوس، المرجع السابق، ص ٥٢.

(١٥) انظر: أنبا إبيفانيوس، المرجع السابق، ص ٥١.

(١٦) سوف نرى تعليقات على تمثيل وحدة الكنيسة بوحدة حبات القمح في الخبزة الواحدة في أقوال القديس

صلاة أخرى نراها مشتركة بين الديداخي وبين المراسيم الرسولية (اليونانية) والدسقولية (العربية) تقال في الاجتماع الإفخارستي من أجل أن يجمع الرب كنيسته. تقول الديداخي:

❖ اذكر يا رب كنيستك، لتُنجيها من كل شرٍّ، وتُكمِّلها في محبتك، **وتجمعها كنيسةً** مقدَّسةً **من الرياح الأربع** إلى ملكوتك الذي أعددته لها، لأن لك القوة والمجد إلى الأبد أمين[١٧].

فانجماع الكنيسة من الرياح الأربع هو من صميم الثمار التي نرجوها من الإفخارستيا. وتوجد في المراسيم الرسولية والدسقولية العربية صلاة مقابلة لهذه، ولكن تُضيف لها مفعول الدم الإلهي في تحقيق ذلك:

❖ اذكر يا رب كنيستك المقدسة التي اقتنيتها لك بالدم الكريم الذي لمسيحك، نجِّها من كل شرٍّ، وكمِّلها في محبتك وحقِّك **واجمعنا جميعًا معًا في ملكوتك**[١٨].

تذكر الديداخي أيضًا تحذيرًا مشدَّدًا ضد إقامة الإفخارستيا في حضرة اثنَين متخاصمَين، لأنه لا يمكن إقامة سر الوحدة في جو من الخصام، وإلا تنعدم قوة السر. توصي الديداخي[١٩]:

❖ لا يشترك في اجتماعكم كل من كانت له خصومة مع رفيقه إلا بعد أن يتصالحا، لئلا تتنجَّس ذبيحتكم.

تعليم الدسقولية عن الجسد الواحد

❖ علِّم أنت أيها الأسقف الشعبَ ومُرهم وعلِّمهم أن يُلازموا الكنيسة بكرة وعشية كل يوم، وأن لا يثبتوا خارجًا عنها البتة، بل ليجتمعوا إليها كل حين لئلا تضعف الكنيسة بقيامهم خارجًا عنها، أو **بتركهم جسد المسيح تعوزه أعضاء منه**[٢٠].

❖ فلا تقوموا خارجًا عن اجتماع الكنيسة ولا تتفرَّقوا من أنفسكم، لأنكم أنتم أعضاء

كبريانوس الشهيد والقديس يوحنا ذهبي الفم.

(١٧) الديداخي ١٠: ٥.

(١٨) المراسيم الرسولية الكتاب السابع: ٢٦، وتقابلها صلاة مشابهة في الدسقولية العربية الباب ٣٦: ٣٩-٤٠.

(١٩) الديداخي ١٤: ٢

(٢٠) الدسقولية العربية ١٠:٥٠، طبعة د. وليم سليمان، ١٩٧٩، ص ٢١٠-٢١١، وتقابلها المراسيم الرسولية ٢: ٥٩.

المسيح، لأنه هو رأسنا كوعده الذي وعده إيانا. وهو كائن معنا ومشاركنا. فلا تتكاسلوا أنتم **ولا تُقطّعوا أعضاء مخلصنا، ولا تُفرّقوه من جسده، ولا تُفرّقوا أعضاءه.** ولا تجعلوا الحاجات العالمية مختارة على كلام الله الذي فيكم. لكن اجتمعوا بكرة وعشية كل يوم في الكنيسة[٢١].

يلاحظ في هذه الأقوال من الدسقولية أنها مبنية على فهم واقعي إلى أبعد حدٍّ لما تفعله الإفخارستيا في الكنيسة إذ تجعلها جسدًا واحدًا للمسيح وتجعل من المؤمنين أعضاءً لهذا الجسد «لأنكم أنتم أعضاء المسيح»، وفي هذا الجسد لا مكان للانفرادية، بل إن مجرَّد الغياب عن اجتماع الكنيسة يُعتبر تقطيعًا لأعضاء المسيح «ولا تُقطّعوا أعضاء مخلصنا، ولا تُفرّقوه من جسده».

من كتاب التقليد الرسولي المنسوب لهيبوليتوس الروماني

- ونطلب إليك أن ترُسل روحك القدوس على قرابين كنيستك المقدسة، مانحاً الوحدة لجميع الذين يشتركون في قدساتك، ليمتلئوا بالروح القدس، لتثبيت إيمانهم في الحق[٢٢].

في هذا النص يُسجِّل لنا هيبوليتس نص الليتورجية كما كانت تقام في أيامه. ونلاحظ فيها أن الروح القدس يجعل قرابين الكنيسة **تمنح الوحدة لجميع الذين يشتركون فيها.** وهذا يُذكّرنا بما نصلّي به حتى الآن في القداس الباسيلي: «واجعلنا مستحقين أن نتناول من قدساتك تقديسًا لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا **لكي نكون جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا...**»، ففي النصَين تظهر الإفخارستيا بأنها هي عماد وحدة الكنيسة.

ومن القوانين المنسوبة للبابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية

- لا يقلق (أي لا يتعجَّل) أحدُ الكهنة مريدًا أن يُقدِّس قبل أن يجتمع الشعب ويُسمِعوا (أي يردُّوا) الليلويا، لأنه مكتوب إن مجد الملك بين جموع كثيرة (أمثال ٢٨:١٤)، والذي يُفرِّق ويُبدِّد شعبَ الله من أجل رضى الناس، الله يُفرِّقه. من أجل

(٢١) الدسقولية العربية ١٠: ٥١ – ٥٢، المرجع السابق، ص ٢١١-٢١٢، المراسيم الرسولية ٢: ٥٩.
(٢٢) التقليد الرسولي ١٢:٤، نشره الراهب القس أثناسيوس المقاري، الطبعة الثانية ٢٠٠٦، ص ١٠٨ – ١٠٩.

هذا لا تستحِ أيها الكاهن من قوم ولكن طَوِّل روحَك حتى يجتمع الشعب[٢٣].

تعليق

هذا القانون يعالج مشكلة مزمنة في الاجتماعات الكنسية وهي أن يتعجَّل البعض ويقيموا الصلاة والكنيسة فارغة، دون أن ينتظروا مجيء الشعب، ويكون ذلك عادةً تحت إلحاح عوامل جسدية مثل الرغبة في إنهاء الصوم وإراحة الجسد، سواء من قبل الكهنة أو من قِبَل أرخن له شأن في الكنيسة، لذلك يُحذِّر القانون الكاهن من أن "يبدِّد شعب الله من أجل رضى الناس". وأيضًا "لا تستحِ أيها الكاهن من قوم ولكن طَوِّل روحَك حتى يجتمع الشعب".

فالإفخارستيا هي "سر الجماعة المجتمعة" μυστήριον συνάξεως كما رأينا، ولا يجوز إقامتها بدون أن يجتمع الشعب معًا (ἐπὶ τὸ αὐτό).

ونستشف من كلام بولس الرسول إلى أهل كورنثوس أن مثل هذه المشكلة كانت قائمة منذ أيامه، ولو أن في زمانهم لم يكن صوم يسبق الإفخارستيا بل كان السرُّ يُقام خلال "عشاء الرب"، ومع ذلك ما كانوا ينتظرون بعضهم بعضًا! «فحين تجتمعون معًا (ἐπὶ τὸ αὐτό) ليس هو لأكل عشاء الرب، لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل». يُفهم من ذلك أن هدف الاجتماع كان أصلاً لإقامة "عشاء الرب" ولكن كون "كل واحد يسبق ويأخذ عشاء نفسه" كان يُخرج الاجتماع من كونه "عشاء الرب". وبعد أن حذَّرهم بكلام كثير من الاستهانة بهذا السر، الأمر الذي يجعلهم في خطر التناول بدون استحقاق، ختم قائلاً «إذًا يا إخوتي حين تجتمعون للأكل (لإقامة عشاء الرب) انتظروا بعضكم بعضًا» (١كو١١: ٢٠-٣٣).

وفي التقليد الرهباني

على أننا نجد في التقليد الرهباني، في أفضل عصوره، ممارسة أكثر أصالة، تنمُّ عن فهم أعمق لطبيعة الإفخارستيا كونها "سر الجماعة المجتمعة" μυστήριον συνάξεως،

(٢٣) انظر: الراهب القس أثناسيوس المقاري، قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، ص ١٨٢

فنقرأ في أقوال آباء البرية:

- ... لأنه هكذا كانت العادة في تلك البرية: أن لا يبدأوا صلاة القداس σύναξις إلا بعد أن يحضر جميع الإخوة. فلمَّا انتظروا كثيرًا والأخ لم يأتِ، ذهبوا ليفتقدوه قائلين: "لعله يكون مريضًا أو ربما يكون انتقل..." [٢٤].

هكذا كان يُعتبر غياب أخ واحد من الإخوة أمرًا معطِّلاً لإقامة القداس. هذا الإدراك الواقعي لكون الإفخارستيا سر الجسد الواحد الذي لا يكتمل إلا بحضور جميع الأعضاء معًا، يُعتبر تطبيقًا عمليًا لما قرأناه في الدسقولية: «فلا تتكاسلوا أنتم ولا تُقطِّعوا أعضاء مخلصنا، ولا تُفرِّقوه من جسده، ولا تُفرِّقوا أعضاءه». فالفرد ليس حرًّا في أن يحضر أو لا يحضر الاجتماع الإفخارستي بحسب ما يتراءى له، أو بحسب ما يظنه نافعًا لحياته الشخصية، ذلك لأنه عضو في جسد متكامل، وغيابه – علاوة على أنه يُحزن أرواح إخوته – فإنه يُعتبر إساءة لجسد الرب نفسه «بتركهم جسد المسيح تعوزه أعضاء منه» [٢٥].

(يتبع)

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني

****

(٢٤) أقوال آباء البرية، المجموعة المجهولة النسب Anonymous قول رقم ٧٦١ب.

(٢٥) الدسقولية العربية ١٠:٥٠، طبعة د. وليم سليمان، ١٩٧٩، ص ٢١٠-٢١١، وتقابلها المراسيم الرسولية ٢: ٥٩.